

التَّحْقِيقُ وَالْإِثْبَاتُ

تاريخ سوريا ولبنان

رد على رد

١ — رأيتم أن لا فائدة من تصدير الكتاب بتاريخ سوريا ولبنان قبل الاسلام بمثل هذا الجفاف والقحط . وقد يكون لكم في ذلك بعض الحق لو كان الكتاب للمتأدبين لا للتلامذة . ولو كان مؤلفه غير مقيم ببرنامج وزارة المعارف اللبنانية —

٢ — أما اعتراضكم على ما جاء في الكتاب من غلو وذلك في ما يتعلق بتاريخ العرب . فأظنه في غير محله . وتساؤلكم عن التجارة العربية . وحماة التجارة من العرب أين هم ؟ . وذلك في ما هو أقرب إلى النكران منه إلى التأييد خطأ عظيم . لأن مثل هذه الاخبار قد أيدتها كل المصادر . وإني لأعجب كيف تجهلون مثل هذه المعلومات الضرورية لمعالجة النقد التاريخي في الصحف والمجلات العربية .

٣ — جاء في التاريخ العام الذي تصدره شركة دائرة المعارف الانكليزية في ٢٧ مجلد . في المجلد الثالث والصفحة ١٠٨ ما يأتي :

وكان للقرشيين في مكة مورد ثروة لا يستهان به بما كانوا يرسلونه صحبة التوافل الى شواطئ البحر الاحمر وما يصدرونه عنها . وكانت جدة منذ القديم مركزاً تجارياً عظيماً . ومكة التي كانت تبعد قليلاً عنها مركزاً عاماً للتجارة العربية . وقد عظم سخط هذين المركزين جدة ومكة بما أظهرته تجار قرش من البراعة والذكاء في تجارتهم .

وايس هناك ريب في خبر القوافل التي كانت مكة ترسلها الى دمشق والعراق . «

وليقرأ حضرة في المصنفحة ٣٠٥ من المجلد نفسه أسماء الاشخاص الذي

اعتمدت عليهم شركة دائرة المعارف البريطانية . وتاريخ العالم في
إيجانها هذه .

٣ — ولقد سقطت كلمة (فحسب) بعد ولم يكن العرب تجاراً . وذلك في
الصفحة ٢٩ من الكتاب الاول . وما قبلها يؤيدها وهذه هي الجملة كاملة .
« وكانت الجزيرة العربية تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة . والفترات
القليلة الضئيلة التي تنبت في أرضها . وكان جل اعتماد أهلها على التجارة اذ كان
البروسيلة صالحة للنقل . ولم يكن العرب تجاراً فحسب . ولكنهم كانوا حمالة لتجارة
التي تمر بأرضهم)

٤ — ويقول موير في كتابه (تاريخ محمد) صفحة XC—XCI—XCII وذلك
في مقدمة كتابه الضخم . ومع أن جزيرة العرب كانت منذ قرون عديدة بعيدة
عن الانظار . فأننا نعرف أن تجارة عظيمة كانت زاهرة في كل وقت في هذه
البلاد . وهي التي جعلت العرب حملة التجارة العالمية بين الشرق والغرب)
وليقرأ حضرة هذه الصفحات في مظانها . فيعلم عن خبر هذه التجارة
الشيء الكثير ...

٥ — وهناك في دائرة المعارف الانكليزية ما يؤيد هذا الخبر الذي استفاد
خطره فأصبح حادثاً « واقعاً » لا سبيل الى الشك فيه وانكاره ، ولنا نريد أن
نبحث الاخبار العربية وغير العربية لنذكر علاقات فارس والروم مع العرب ،
وما كان للاعراب من مركز منيع في عهدهم ، وما كان للمناورة والقساسة من
شأن في السياسة الحكومية في فارس والروم . فان هذه أمور يعرفها طلاب المدارس
وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الشرازم العبرية كان لها شأن في الجزيرة
وغير الجزيرة قبل أن دفعها الاسلام . لحق الدولتين العظيمتين فارس والروم .

٦ — وجاء في كتاب التاريخ العام الذي وضعه الكاتب الانكليزي
المعروف وليس في الصفحة ٤١٠ — ٤١١ ما يأتي

« كان العرب يأخذون الجزيرة لحماية القوافل التي تمر بأرضهم . ولقد قامت
بعض المدن العربية على الطرق التجارية . مثل مكة والمدينة . ولم تكن مكة

مركزاً تجارياً فحسب وإنما كانت أيضاً مقراً للحاج والعبادة »

* *

٧ — أما الجزية التي فرضها تيمورلنك على دمشق فقد جاء عنها ما يأتي :

١ — تاريخ سوريا ولبنان لليسوعيين صفحة ٧٦ « بيروت المطبعة اليسوعية »
فرض تيمورلنك على دمشق جزية قدرها عشرة ملايين ولما فتحت
دمشق أبوابها أخذ التتر ينهبونها بيتاً بيتاً

٢ — تاريخ سوريا (بالفرنسية) الأب لامانس . بيروت — مطبعة
اليسوعيين

وطلب تيمورلنك جزية قدرها مليون دينار من دمشق
وقول لامانس أوثق وأصدق . وهو ما اعتمدنا عليه . فهل لخصرة الناقد
أن يأتينا بما ينقض هذا الخبر

٨ — أما اعتراضكم على ما نقلناه (للسائح الألماني) فقد يكون جديراً
بالعناية لو استطعنا إلى بحثه ونقده سبيلاً . ولما كان ذلك مستحيلاً لندورة مثل
هذه الاخبار . وعدم انصراف أحد من أبناء سوريا لمعالجتها . فقد نشرنا أقوال
هذا السائح لوحدها دون أن تكون ذات علاقة بالدروس التي تلقى على التلامذة
ليقرأها من أراد فيجد فيها ما يساعده على تعرف الزمن وحالته الاقتصادية . وفيها
على كل حال أخبار تاريخية مهمة

٩ — أما ما نشرناه عن وزن الجارية وغير ذلك أيام عثمان . وذلك نقلاً عن
كتاب (الامامة والسياسة) فقد يكون فيه بعض المبالغة وذلك لا يمنع توفر المال في
ذلك الزمن بعد ما درته فتوح فارس والروم على المسلمين من الغنائم الوفيرة
والاموال العظيمة .

١٠ — أما مقدار الجزية التي كان يدفعها عبد الملك بن مروان إلى الروم فقد
ذكرها العرب كما ذكرناها في كتابي صفحة ١٢٨ وأشارت إليها المصادر الأوروبية
دون ما تعين إلى المبلغ . وقد فعلت ذلك في الصفحة ٥٣ من الكتاب نفسه

١١ — أما عدد الجيش العثماني في الحرب العامة. فمساكن أكثر من مليون جندي. وهذه حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وعدد سكان الدولة العثمانية في ذلك العهد ويبلغون ٣٠ مليوناً يؤيد ذلك

أما عدد القتلى والجرحى من السوريين فنقره ونؤيده كما أوردناه حتى يأتينا حضرة الناقد بأوثق منه . أما ما لم نذكره عن أعمال الأميركيين النافعة في البلاد فقد أتينا على أعمالهم . العامة وسنبحث أعمالهم المالية في الكتاب المطول . وأما تسائله عن الأسباب التي حماه على تجاهل ذلك فأمر يعنيني دون سواي .

١٢ — وهناك بعض نقط لا أهمية لنقدها أو تفنيدها . وكنا نود لو أن حضرة الناقد كان أوثق أخباراً وأكثر روية وأعلم بأخبار سوريا ولبنان ليكون نقده أبقى أثراً وأكثر فائدة .

*

* *

تعليق على الرد السابق

١ — نأسف لعدم وقوفنا على أن برنامج وزارة المعارف اللبنانية . قد قيدت المؤلف « بمثل هذا الجفاف والقحط » ولكننا لانسلم مع حضرته بأن كتابة هذا « الجفاف والقحط » للتلامذة . وليس للمتأدبين فيه فائدة لهم . وهم محتاجون لتبسط أكثر خصوصاً وأنهم مبتدئون

٢ — تساؤلنا عن التجارة العربية أن هي . هو بالضبط مثل تساؤلكم ص ٣٩ « ولم يكن العرب تجارا ولكنهم كانوا حماة تجاره » وأظن السيد المحترم يسلم معي أو يسمح لي أن أسلم معه بصفحة ماورد في الصفحة ٢٩ ج ١ . من كتابه « كانت الجزيرة العربية تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة (والثمرات القليلة الضئيلة التي تنبت في أرضها) وكان جل اعتماد « فما الذي كان يحمله العرب إذا كانت حاصلات بلادهم الزراعية تكاد تكون معدومة » أظن سيادته لا يريد أن يقول بأن الصناعة العربية كانت ناجحة وأن النقيدين كان معروفاً من العرب . فاستثمروه . فهل كنت مخطئاً في قولي إذن أيها السيد ؟

٣ — وإنما تعرضت لهذا القول عرضاً . لأن قصدي كان اظهار التناقض . ففضل
وقل لي ما الذي كانت تحمله تلك القوافل غير التمر والشعير الى دمشق . وما الذي
كان ينتظر أن ترده دمشق الى قوم حفاة عراة الاشياء حقيرة ؟ وأحب أن
لا يكون حضرة المناظر زقلا بلا تفكير . فعلى فرض ان كتب الاولين والآخرين
حوت ما ليس يقبله العقل ، فهل يتמיד الانسان عقله في سبيل الاستشهاد بفلان
وفلان ؟ واني آسف غاية الأسف لعدم وجود كتاب التاريخ العام تحت يدي
الآن ، ولا كتاب موبر ولا أي من الكتب التي تفضل بذكرها ، ولم أسع لاحضارها
لأن النبذات التي أتى بها حضرته على فرض أنها منقولة حقا من تلك المصادر
لا يستسيغها العقل للأسباب التي ذكرتها من قبل ، فهي غير صحيحة

٤ — وهناك فرق — ولو في نظري أنا فقط — بين القول بأن العرب كانوا
حملة تجارة (يسوقون الجمال) وبين القول بأنهم كانوا حماة . وكذلك هناك فرق
بين القول بأنهم كانوا يحمون تجارة (الأُم التي كانت تحيط بهم) أليس كذلك ؟
والمعتول أنهم كانوا يحمون تجارة اليمن — سور يا لان مرور القوافل في مواطنهم
كان يحتاج الى هذه الحماية ولكن أكثر من هذا فلا

٥ — وما الذي كان للمناذرة والغساسنة من شأن في السياسة الحكومية في
فارس والروم ؟ أليس هذا التعميم غير جدير بصفات المؤرخ ؟ ان من يقرؤك
يا صديقي لا شك يعتقد بان المناذرة والغساسنة كانوا يلعبون في الدولتين الدور
الذي لعبه الاعاجم في سياسة الحكومة العباسية . لا . لا . أرجوك أن تقلل من
حماسك وأنت تكتب التاريخ لانه اذا كان كل مدرسي المدارس على شاكلة
وأصبح « طلاب المدارس » يعرفون هذه الامور فليس أمامي إلا التالم العميق
والسكوت على مضمض . كلا ياسيدي فطلاب المدارس وأنا في جملتهم لا نسلم
بصححة ما نقوله أبدا

٦ — واني أشكر مناظري الفاضل اختياره نشر أخف الضررين . فالحمد
لله على أنه لم يعتمد على تاريخ اليسوعيين في ذكر الجزية التي أخذها تيمورلنك
واكتفى بمليون دينار واني لو كنت مكانك لقلت « فرض تيمورلنك على دمشق

جزية ثقيله . ولما فتحت أبوابها أخذ التريشيهونها بيتاً بيتاً « وأظن في ذلك
الكفاية . لأن نصف مليون جنيه مبلغ ضمت منه مصر في القرن العشرين عند
مادفمته بعد مقتل السردار

٧ — ليتك عينت ثمن الجارية بمائة ألف درهم فكان ذلك أخف وطأة
من قولك أنها كانت تباع بوزنها . يا حفيظ . يا حفيظ

٨ — بخصوص عدد الجيش العثماني اسمح لي أن أقول بأنني وافقتك
بقولي « اني لا أتصور أنه زاد عن ١٠٠٠٠٠٠ جندي كثيراً » فاذن نحن متفقان
ولكنك قلت أن « عدد سكان الدولة العثمانية ٣٠٠٠٠٠٠٠ » واستنتجت
أنه لا يستبعد تجريد تلك القوة وهذا ما لم أعرض له أبداً . بل الذي تعرضت له هو كيف
يمكن لسوريا أن تقدم جيشاً عدده ٢٤٠٠٠٠٠ كلهم بين ١٨ و ٤٥ في حين أن
تعدادها ما كان يتعدى ٣٠٠٠٠٠٠ نفس . ذلك خلاف الذين رشوا الرؤساء
للتخلص من الخدمة ، وخلاف (الفراريين) وخلاف موظفي الحكومة الذين حشروا
حشراً في دواوينها وخلاف الذين انضموا الى المدارس ؟

٩ — أأسف جداً لأنني لم أعمل احصائية للقتلى والجرحى من السوريين
وأعجب كيف تقررون العدد ١٢٠٠٠٠٠ نفس ؟ يجوز أنهم كانوا أقل أو أكثر
أليس كذلك ؟

١٠ — اني لم اتساءل عما تذكره عن أعمال الاميركيين النافعة في البلاد
بل الذي سألت عنه هو السبب في تخصيصكم بالذكر ما أنفقته الفرنسيون وتقدرونه
بسبعة ملايين فرنكاً . وذلك في إطعام الجياع وتموين لبنان وإنشاء مخازن للأعاشة ،
في حين انك تعلم مثلما أعلم أنا أيضاً بأن الامريكيين انفقوا بدلاً من الفرنك
الواحد جنيتها ذهباً أو بالاقل دولاراً في هذه الاوجه لبس بعد الحرب فقط بل
وخلال مدة الحرب . ومع ذلك لم يحظوا بوضع اسمهم مع غيرهم من المحسنين
ولو في ذيل القائمة . وأنا اعترف بكل خضوع أن الدافع لك على ذلك هو من
شئونك الخاصة ، ولكن أليس للقارىء أن يتساءل عن السبب ولو في السر ؟
(يامونشير أنت مؤرخ ولست صحافياً تشتغل في نشر الدعوة)

أظنك عرفت اني أوثق إخباراً مما حسبت وأكثر روية . وأما كوني أعلم
 بإخبار سوريا ولبنان فأمر أتركه لك بعد أن تقرأ

عمر عنايت

*

* *

(العصور) اجتمع لدينا نخبة من المؤلفات منها السفور والحجاب للآيسة
 زين الدين . والنكبات للريحاني . وقبض الريح للمازني ونسبات وزوابع وغير ذلك من
 المطبوعات الحديثة . سنوالى نقدها وغيرها تباعاً بعد أن ندرسها على الطريقة التى
 جرت عليها العصور حتى الآن وموعدنا بذلك الاجزاء التالية